

الإسهامات الحضارية لعلماء تلمسان حاضرة بني زيان: علماء أسرة ابن عبد النور-أنموذجًا-

The Civilizational Contributions of the Scholars of f the City Tlemcen in The Zayyanid Era: Case Study: The Scholars of Ibn Abd Al-Nur's Family

قدور منصورية

جامعة غليزان (الجزائر)

mansouria.kaddour@univ-relizane.dz

ملخص:	معلومات المقال:
ساهمت مدينة تلمسان بقسط غزير في الحياة العلمية على عهد الزيانيين من خلال ما يوضحه المؤرخون والمهتمون بكتب السير والتراجم والذين أولوا اهتمامًا واضحًا إلى علماء تلمسان كونها عاصمة الزيانيين، من خلال إنتاج علمائها الذين تشربوه واستوعبوه من مجمل التيارات الفكرية في المغرب والأندلس والمشرق. وظهور عائلات علمية توارثت العلم عن بعضها البعض، مثل بيت ابن عبد النور الندرومي، حيث تعود أصول هذه الأسرة إلى مدينة ندرومة، وقد كان لعلماء هذه الأسرة التي ظهر منها الأخ الأكبر محمد وأخيه علي ثم محمد ابن علي دورًا في تسجيل اسمها ضمن البيوتات المساهمة في تنشيط وتفعيل الحياة العلمية بالمغرب الأوسط.	تاريخ الارسال: 2021/09/25 تاريخ القبول: 2021/11/07
	الكلمات المفتاحية: ✓ تلمسان ✓ حاضرة ✓ الأسرة
Abstract : The city of Tlemcen contributed a great deal to the scientific arena during the Zayyanid era as evidenced by historians and those interested in the books of biographies and translations. The scholars of Tlemcen, whose production imbibed influences from different intellectual currents of the Maghreb, Al-Andalus and the Levant, have received a particular attention. Many scientific families, like the house of Ibn Abdennour of Nedroma, played a significant role in propagating knowledge and revitalizing the scientific arena in the Maghreb.	Article info : Received : 25/09/2021 Accepted : 07/11/2021 Keywords: ✓ Tlemcen ✓ City ✓ Family

➤ **مقدمة:** زخر المغرب الأوسط بالعديد من الحواضر العلمية التي كانت لها دوراً كبيراً في تنشيط الحياة الفكرية والعلمية شرقه وغربه وبذلك كان مواكباً لجيرانه بالمغرب وحتى بالشرق الإسلامي، وممّا لا يدع إلى الشك والارتياح أنّ بلاد المغرب الأوسط بلغت القمّة في الحضارة على عهد بني زيان. وكانت آثار هذه الحضارة بارزة في عدّة ميادين منها الحركة العلميّة والفكرية، إذ كانت مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية ومركز إشعاعها وانطلاقها إلى سائر أنحاء بلاد المغرب الأوسط، يترجمه أدوار علمائها في مجالات مختلفة بالحياة الفكرية من علوم وتعليم وغيرها من المناحي العلميّة، مثل: القضاء والتصوّف وغيرهما، ومن بين الأسر أو البيوتات التي ساهمت في تنشيط وازدهار المجال العلمي والفكري بتلمسان الزيانية وبلاد المغرب الإسلامي نجد أسرة ابن عبد النور الندرومي التي تعود أصولها إلى مدينة ندرومة إحدى أهم مدن الدولة الزيانية القريبة من الساحل على بعد حوالي ستة كيلومترات في مستوى خط مستقيم عن البحر الأبيض المتوسط وعلى بعد 60 كلم من الحدود المغربية.

وانطلاقاً من هذا التقديم نطرح مجموعة من التساؤلات: ماهي مراحل التطور التاريخي لتلمسان؟ وما موقع مدينة ندرومة منها؟ وفيما تمثلت أهم العوامل التي ساهمت في النبوغ العلمي بتلمسان على عهد بني زيان وأثره على الإنتاج الحضاري لعلمائها؟ ومن هم علماء بيت ابن عبد النور؟ وماهي أبرز الأدوار والوظائف التي اضطلعوا بها؟

وما نود توضيحه أنّ هذا المقال يشمل فكرتين أساسيتين: الأولى: التعريف بتلمسان كونها حاضرة بلاد المغرب الأوسط على عهد بني زيان، ومدينة ندرومة بحكم أنّ علماء بيت ابن عبد النور تعود أصولها إلى هذه المدينة، وذكر عوامل هذا الازدهار العلمي والفكري.

أمّا الفكرة الثانية فهي: إبراز الدور الكبير والمهم لظاهرة البيوتات العلميّة التي برزت بتلمسان في هذا الرقي الحضاري أمثال بيت ابن عبد النور. وبلا شك أنّ علماء هذه البيوتات العلميّة التي توارثت العلم عن بعضها، كان لها الدور والأثر الإيجابي في دفع عجلة الحضارة على عهد بني زيان، إذ نجد دورها لم يقتصر على الإنتاج العلمي بل تجاوز تقلد الوظائف وإنجاز المهام السياسية وخصوصاً أنّ الوضع السياسي لم يكن مستقراً ما بين دول بلاد المغرب الإسلامي آنذاك ورغم ذلك قد أسهم فيه العلماء إسهاماً غزيراً.

➤ **نشأة مدينتي تلمسان وندرومة وتطورهما التاريخي:**

1. **التطور التاريخي لمدينة تلمسان:** تقع مدينة تلمسان في الجهة الغربية من بلاد المغرب الأوسط حسب العبدري (1986)، في سفح مرتفعات جبلية على ارتفاع يفوق 800م عن سطح البحر، تشرف المدينة من الناحية الشمالية على سهول خصبة تعرف بسهول الحنايا (العبدري، 1986، ص09)، كما ابن الأحمر (2001) تكسوها غابة كثيفة من شجر الصنوبر الأخضر في ناحيتها الجنوبية حسب ، يحدها من

الشمال الشرقي مرتفعات سبعة الشيوخ، ومن الشمال الغربي مرتفعات ترارة وجبل فلاوسن ويجري على منحدرات جبال تلمسان عدة أنهار كنهر الوريث، الصفصيف وتافنة .

➤ الأسماء التاريخية لمدينة تلمسان:

✓ **بوماريا:** في الفترة الرومانية المعروف أنَّ الرومان قد استعمروا بلاد المغرب في الفترة القديمة حسب حساني (2007) فاختلفوا في موضع تلمسان القديمة مدينة دعوها (بوماريا) ومعنى هذا الاسم البساتين.

✓ **أقادير أو أجادير:** التي اختطها بنو يفرن الزناتيون، وهو اسمها الفينيقي القديم وفقا ل الطمار (2007) ومعناه الجرف أو الهضبة وهي ما يعادل جدار قديم -مدينة محصنة-.

✓ **تاجرارت:** التي أسسها يوسف بن تاشفين المرابطي غرب مدينة أجادير التي اتخذها مقراً له، ومعنى تسمية تاجرارت المحلة أو المعسكر.

✓ **تلمسان:** أشار بوعزيز (1980) إلى أنها كانت قرية أجادير وتاجرارت مفصولتان بسور ثم بعد مدة من الزمن أزيل هذا السور وضمت تاجرارت إلى أجادير وتكونت منهما مدينة واحدة هي تلمسان (يحيى بوعزيز، 1980، ص85)، أمّا تسمية تلمسان فهي بربرية الأصل تتألف من كلمتين بربريتين هما (تلم) ومعناها تجمع و(سان) ومعناها اثنان، أيّ الصحراء والتل بمعنى إنّها تجمع بين طبيعة التل والصحراء، فهي تشرف على ساحل بحري ولا تبعد كثيراً عن الهضاب العليا والصحراء ذات الطبيعة ومناخ الصحراوي، وفي هذا الشأن يقول يقول يحيى ابن خلدون (1980): "دار ملكهم فيه وسط بين الصحراء والتل وتسمى بلغة البربر تلمسان"، ويذكر المقرئ (1986) أيضاً أنّه يقال تلمشان وهو اسم مركب من (تلم) ومعناها (لها) و(شان) أيّ؛ لها شأن، كما تذكر بعض المصادر تبعاً للتلمساني (1986) أن اسم تلمسان هو تحريف صيغة الجمع تلمسين بكسر التاء وسكون اللام وكسر الميم، ومفرده تلماس ومعناه جيب ماء أو ينبوع.

كذلك ذكر المراكشي (1980) بأنه توجد معاني أخرى منها ما يفهم منه البر والبحر، وأضاف الطمار (2007) أنها الأرض المنبسطة بين الجبال، أرض تنعم بالمياه والأعشاب والأشجار، وتمثل مدينة تلمسان حسب عبدلي (2007) قفل بلاد المغرب، فهي رصيف للداخل والخارج إذ لا بد الاجتياز بها لموقعها الاستراتيجي والعسكري، ونظراً لأهميتها في الميدان التجاري، حيث كانت قبلة القوافل التجارية السائرة في المحورين الرئيسيين بين الواحات الصحراوية والبحر الأبيض المتوسط، وبين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى .

2. مدينة ندرومة وموقعها الجغرافي: أكد بركات (1995) أنّ هذه تقع المدينة في منطقة جبلية على

بعد 60 كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان، غير بعيدة عن الحدود المغربية، أسست في سفح جبل فلاوسن

وهي تمتد على منحدرات هذا الجبل من الجهة الشمالية الغربية على ارتفاع يتراوح ما بين 360م و470م، تقابل المدينة البحر الأبيض المتوسط وتبعد عنه على خط مستقيم بستة كيلومترات ومتصلة بالبحر عن طريق شاطئ سيدى يوشع وميناء الغزوات، إذ بين George, (1988) أنها تقع فوق هضبة امتداداً طبيعياً.

أشار زرهوني (1987) إلى أن مصدر كلمة ندرومة لا زال مجهولاً يتأرجح بين تأويلات وتقديرات الذاكرة الشعبية والتي لا أساس لها من الحقيقة في غياب السند التاريخي والدراسة الأثرية والعمرانية للمدينة. حيث يذهب بعض المؤرخين إلى أن اسم مدينة ندرومة مشتق من عبارة نظروا إلى الماء أو أنظروا إلى الماء بصيغة الأمر التي نطق بها فرسان العرب عند رؤيتهم للماء تعجباً من كثرته وغازته (الظاهر زرهوني، 1987، ص142).

أمّا عن الجغرافيين والرحالة القدامى، فيعتبر اليعقوبي المؤرخ والجغرافي هو أول من تحدث عن المدينة في كتاب البلدان في نهاية القرن التاسع ميلادي، فيذكر بأن المدينة العظمى المشهورة بالغرب التي يقال لها تلمسان، كانت في أيدي العلويين وآخر المملكة مدينة فالوسن وهي مدينة عظيمة (أورد في: اليعقوبي، 2002).

وأمّا البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي هو الذي ذكر لأول مرة اسم ندرومة قائلاً: "...ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجراً... وبينها وبين البحر عشرة أميال... ومدينة ندرومة مسورة جليلة..." (أورد في: البكري، 1857).

إنّ الجغرافيين اليعقوبي والبكري يذكران المدينة باسمين مختلفين، فاليعقوبي يذكرها باسم فالوسن والبكري باسم ندرومة، ممّا يوحي لنا أنّه بمرور الزمن تغير اسم المدينة باسم ندرومة ليصبح فيما بعد اسمها المعروف.

ويصفها لنا المؤرخ والجغرافي المعروف بالشريف الإدريسي (199) الذي عاش في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، إذ يقول: "...وندرومة مدينة كبيرة عامرة أهلة... موضعها في سند... ولها وادي يجري في شرقيها وعليه عمارة وسقي كثير"، ويذكر أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق (1981) الذي عاش في القرن السادس هجري، الحادي عشر ميلادي أنّ اسم المدينة مأخوذ من إحدى بطون قبيلة كومية التي استقرت بها: "...كومية... لهم من الأحفاد خمسة وعشرون من ذلك... أهل القرية ندرومة.."، ويضيف ابن خلدون (2000) في معرض حديثه عن كومية قوله: "...كومية... لهم ثلاث بطون، منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومة وصغارة وبن يلول...".

كما ذكر صاحب الاستبصار موقعها الذي عاش خلال القرن السادس هجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي: "مدينة ندرومة من طرف (قرب) جبل تاجراً وهي مدينة حسنة... وبينها وبين البحر عشرة أميال..." (مؤلف مجهول، 1981)، وحينما تحدث الفاسي (1972) مؤلف روض القرطاس عن دولة

الموحدين، ذكر بأن مدينة ندرومة الواقعة في سفح جبل فلاوسن، أسست من طرف عبد المؤمن بن علي الكومي سنة 554هـ-1159م.

من خلال هذا العرض التاريخي، يتبادر إلى أذهاننا أن عدم ذكر المدينة بهذا الاسم من قبل المؤرخين العرب قبل القرن 11م، يعني أنها اتخذت اسم ندرومة في فترة مجهولة، حيث نجهل أحداث هذا التغيير.

➤ الدولة الزيانية وعوامل ازدهار الحركة العلمية بها:

1.نشأة الدولة الزيانية: قامت دولة بني زيان أو بني عبد الواد حسب عبدلي (2007) على أنقاض دولة الموحيين ويعود أصل بني عبد الواد الزيانيين إلى قبيلة زناتة وهم من القبائل الرحل، كانوا يجوبون صحراء المغرب الأوسط بمواشهم ولا يزالوا على ذلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط، فكانوا سابقين إلى طاعتهم، وصاروا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم، فمنحهم الموحدون جزاء إخلاصهم ضواحي المغرب الأوسط وبلاد زناتة، فترك بنو عبد الواد الصحراء واستقروا في التل، فقويت عصبيتهم واستغلوا فرصة اضطراب الدولة الموحدية أواخر عهدها وسعوا للسيطرة على تلمسان، واستقل جابر بن يوسف بحكمها عام 627هـ/1229م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت نشأة دولة بني زيان، وأصبح بنو عبد الواد الزيانيين سادة على تلمسان وضواحيها .

2.عوامل ازدهار الحياة العلميّة والفكريّة: يقول العبدري (1986) أنه تضافرت عدّة عوامل تجمعت في جوانب مختلفة أدّت بمدينة تلمسان للعب دور كبير في النشاط العلمي والفكري وهي: اهتمام وتشجيع سلاطين بني زيان للعلم والعلماء من خلال العمل على إنشاء دور التّعليم المختلفة والإنفاق عليها، وتقريب العلماء منهم من خلال عقد المجالس العلمية في قصورهم ومجالسة الصلحاء والإكثار من زيارتهم، وترغيبهم لرجال العلم بالقدوم إلى عاصمتهم تلمسان، واستقبالهم من مختلف الحواضر الإسلامية، بالإضافة إلى عوامل أخرى وهي:

✓ **العوامل الطبيعية:** يرى التنسي (2000) أن أهمية مدينة تلمسان الاستراتيجية هي أهم عامل جعلها تلعب هذا الدور، فموقعها على الطريق التجاري الرابط بين كبرى حواضر بلاد المغرب تلمسان عاصمة الزيانيين وفاس عاصمة المرينيين والحاضرة الحفصية تونس بإفريقية، مع باقي حواضر بلاد المغرب الإسلامي، مثل: بجاية ومامازونة وجزائر بني مزغنة وقسنطينة وغيرها من الحواضر التي تشد إليها الرحال والتّلمّذ على شيوخها جعلها مركز استقطاب فكري وتجاري في ذات الوقت، بحيث سار سلاطين بني عبد الواد على درب يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية، وعملوا على تثبيت الأسس العلمية والحضارية لدولتهم.

✓ **العوامل التاريخية:** الجدير بالملاحظة هنا بالنسبة ل البوعبدلي (1975) أنّ مدينة تلمسان استفادت منذ عهد المرابطين على الأقل، وأنّ هذه الأخيرة قد حظيت منذ القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي بتطور هام في الحياة الثقافية والعلمية والدينية، نتيجة هجرة العديد من العلماء والأدباء ورجال الدين إليها، مثل أبي جعفر بن نصر الداودي المتوفى سنة 402هـ/1036م وغيرهم.

و في هذا الإطار بين المنوني (1989) أنّ هذا الإقليم ظل يلعب أدواراً ثانوية إلى أن اعتلى عبد المؤمن بن علي كرسي الخلافة الموحدية في بداية القرن السادس الهجري، فأصبح إقليم تلمسان بموقعه الاستراتيجي، هو قفل بلاد المغرب، ومن مزايا دولة الموحدين توحيد أقطار المغرب الإسلامي تحت سلطة واحدة لأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي، ممّا ساهم في انطلاق نهضة ، ظهرت نتائجها حسب حاجيات (1997) خلال القرن الثامن الهجري الذي يعتبر بحق أوج ازدهار الحياة الثقافية والفكرية بالمغرب الإسلامي.

✓ **المؤسسات التعليمية:** يرى سعد الله (1981) أنّ التّعليم كان منتشرًا بكلّ مستوياته في تلمسان وضواحيها خلال العهد الزياني بفضل مختلف المؤسسات التّعليمية، بحيث أدت كلّ من المساجد، و الكتاتيب، و المدارس، والزوايا دورًا هامًا فيه، باعتبار أنّ هذه الأماكن كانت المنبع الذي يأخذ منه طالب العلم أثناء هذه الفترة .

✓ **الكتاتيب القرآنية:** يقول بوشقيف (2010) أنه تعد هذه المؤسسات التّعليمية ابتداء من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي من بين أهم أماكن للتّعليم التي عملت على تعليم الأطفال الذين بلغوا سنّ السّابعة، والتّعليم بالكتاب تعليم أولي، فكان المعلم ملزمًا بتحفيظ القرآن للتلاميذ والحروف والكتاب والقراءة، ومنه ينتقل التلاميذ إلى المساجد الكبرى أو الزوايا أو المدارس لإنهاء دراستهم، وكانت الكتاتيب منتشرة في مدينة تلمسان ونواحيها لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.

✓ **الزوايا :** من أهم المؤسسات التّعليمية التي ساهمت في تعميم التّعليم لدى المجتمع العبد الوادي، انتشرت ببلاد المغرب الأوسط نتيجة انتشار التصوف وهي بناية ذات طابع ديني، حيث جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، يقيم فيها شيخ يلتف حوله مريدون ينتهلون منه شتى فنون المعرفة ومن هذه الزوايا بتلمسان نجد: الزاوية اليعقوبية التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني إضافة إلى المدرسة على ضريح والده. وزاوية سيدي أبي مدين بالعباد التي كانت تهتم بالتّعليم واستقبال الطلبة الوافدين، وكان لها عدة أوقاف يعقوب.

✓ **المساجد:** ذكر البوعبدلي (1975) أن بلاد المغرب الأوسط كانت بلاد المغرب الأوسط كغيرها من الأمصار الإسلامية قد انتشرت فيها المساجد والجوامع منذ أن فتحها المسلمون، حيث استمرت العناية

بإنشائها إلى العهد الزياني الذي عرف نمو حركة معمارية بشكل كبير إذ أصبحت هذه المؤسسات التعليمية مراكز إشعاع ثقافي وعلمي، والتي كانت أشبه بالمعاهد العليا تدرس فيها أنواع العلوم ، ومن أهم هذه المساجد الكبيرة المتواجدة ببلاد بني زيان نذكر :

- **المسجد الأعظم:** أكد بورويبة (1979) أن يوسف بن تاشفين المرابطي شيده لقوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) سورة النور، الآية 36، و ذكر بوعزيز (2004) بأنه قام يغمراسن في عهد بني زيان بإضافة المئذنة، حيث استقطب علماء أجلاء تقانوا في خدمة العلم وتكوين الأجيال، وتصدروا لتعليم القرآن للطلبة بالإضافة إلى شرحه لعامة الناس في المدينة وأريافها، وتخرج على أيديهم في هذا المسجد أجيال من طلبة العلم .

- **مسجد أبي الحسن:** أشار فيلالي (2002) يقع قرب الجامع الأعظم أسسه السلطان الزياني أبو سعد عثمان بن يغمراسن، كما كانت هناك مساجد كثيرة بمدينة تلمسان أسست في العهد الزياني أهمها: مسجد أولاد الإمام، مسجد إبراهيم المصمودي، مسجد أبي مدين بالعباد، مسجد سيدي الحلوي.

✓ **المدارس:** ذكر فيلالي (2002) أن المدرسة مصطلح يطلق على المؤسسات ذو الطابع التعليمي تشرف عليها الدولة، بحيث تغطي مصاريف الطلبة وإيوائهم وصرف مرتبات المدرسين والقائمين عليها، قد قلد ملوك بني زيان ملوك المغرب والمشرق في بناء المدارس والاعتناء بها والإشراف الشخصي عليها وتعيين طاقمها للتدريس وقد اشتهرت بتلمسان المدارس التالية: مدرسة ابني الإمام، المدرسة التاشفينية، مدرسة أبي مدين شعيب بالعباد، مدرسة سيدي الحلوي، المدرسة اليعقوبية، مدرسة الحسن بن مخلوف الراشدي (عبد العزيز فيلالي، 2002، ص 141) هذه المدارس التي أصبحت حسب بلعربي (2005) قبلة لطلاب العلم ومقصدهم منذ دخول نظام المدرسة إلى بلاد المغرب، والالتحاق بها يخضع لشروط وقانون داخلي للمدرسة، منها: أن يكون الطالب عمره حوالي عشرون سنة، وحافظ للقرآن الكريم ومتمكن من بعض المتن والفقه، ومدة إقامته سبعة سنوات.

✓ **المكتبات :** إن طلاب تلمسان وعلمائها كانوا منشغلين بجمع الكتب ودراستها، أضف إلى ذلك ملوك بني عبد الواد كانوا مهتمين بتعمير المكتبات خدمة للطلبة، ومن هذه المكتبات المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1359م بالمدرسة اليعقوبية والمكتبة التي أنشأها أبو زيان محمد الثاني عام 796هـ/1394م في الجهة الأمامية من الجامع الأعظم.

✓ **الرحلة العلمية:** بين ابن الخطيب (1956) أنه كانت الرحلات العلمية والتي اعتبرها العلماء المسلمين ضرورة يجب أن يسلكها طالب العلم في حياته العلمية، وهذا ما أكده ابن خلدون من خلال قوله أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد الكمال في التعلم، وعلى أساس ذلك أدرك الطلبة أهمية الرحلة، فكانوا لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدنهم بل يجوبون مختلف البلدان لتلقي العلوم من أكابر العلماء

متحلمين عناء السفر ، وبما أنَّ التَّعليم هو الوسيلة والمعبر الأساسي الذي تنتقل عبره العلوم من جيل إلى جيل، فالتَّعليم في مدينة تلمسان على عهد بني زيان لم يخرج عمَّا هو سائد ومتبع من علوم ومناهج في بلاد المغرب، فبيدأ طالب العلم بطلبه في بلده أو إقليمه ثم يرحل للأخذ عن كبار الشيوخ في الحواضر.

➤ **علماء أسرة بن عبد النور الندرومي:** عُرفت هذه الأسرة نسبة إلى عالم محمد بن عبد الله بن عبد النور الذي عاش ما بين النصف الثاني للقرن 7هـ /13م إلى النصف الأول من القرن 8هـ /14م، وجدُّ هذه الأسرة عبد النور عاش خلال القرن 7هـ /13م، ولقد برز من هذه الأسرة ثلاثة علماء اشتهروا بأوطان بلاد المغرب والمشرق وهم:

1. **محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور من أعلام القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي، اشتهر بالندرومي نسبة إلى مدينة ندرومة ، هو الابن الأكبر لهذه الأسرة الذي تعاطى العلم والفقه، وإمتحن التدريس والقضاء وعرف مغرباً ومشرقاً لدى الخاصة والعامة بجهود مسيرته (أورد في: بن داود، 2010).

• **شيوخه:** لم تذكر لنا معلومات عن رحلته العلميَّة إلى بلاد المغرب الإسلامي، حيث ذكره ابن خلدون (2007) تلميذه أنَّه قد تفقه على مذهب مالك على يد الأخوين أبي يزيد وأبي موسى ابني الإمام محمد بن عبد الله التنسي البرشكي، أمَّا عن رحلته إلى بلاد المشرق الإسلامي ذكر أنَّه حط بمصر والتقى بالقاهرة جلال الدين القزويني ، وأضاف التلمساني (2000) أنه وبعد أداء مناسك الحج عاد إلى تلمسان وأصبح من كبار علمائها وفقهائها.

• **تلامذته:** قام الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي بالتدريس في تونس أثناء مدة سيطرة السلطان أبي الحسن المريني على تونس سنة 748هـ /1347م، وكان من بين تلامذته الذين أخذوا دروسه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحي مدة بقائه في تونس، ومحمد بن مرزوق، كما أخذ عنه الفقيه محمد ابن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني (ت: 759هـ /1405م) الذي قال عنه: "وممن أخذت عنه واستفدت منه بتلمسان القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد النور" (أورد في: الخطيب، 2007) ، ورغم هذه المكانة المرموقة لمحمد بن عبد النور وما يلاحظ كذلك أنَّ اسمه اقترن بأسماء لامعة في تاريخ الحركة الفكرية والعلمية للمغرب الإسلامي، ألا وهم محمد بن مرزوق، وعبد الرحمن ابن خلدون ومحمد بن محمد المقرئ الجد، إلا أنَّه لم تذكر له أية تأليف ربما لأسباب وظروف شخصية غامضة أو سياسية (أورد في: بلهاري، بدون سنة).

• **مهنته في التدريس والقضاء:** أكد التنبكتي (1932). أنه مارس مهنة التدريس في تلمسان ثم في تونس أثناء مدة سيطرة السلطان أبي الحسن المريني عليها سنة 748هـ/1347م، كما ورد في المصادر التي بين أيدينا من خلال إشارات تلامذته السالفة الذكر، كما أنَّ أبا عبد الله بن عبد النور تولى خطة قضاء عسكر أبي الحسن المريني عندما استولى هذا الأخير على تلمسان عاصمة الزيانيين سنة 737هـ/1337م، من هذه المدن التي تولى القضاء بها تلمسان.

ويذكر لنا ابن مرزوق (2007) أن ابن عبد النور تولى الإشراف على ديوان الزكاة والمظالم وذلك في قوله: "أنَّ استعمله أبو الحسن المريني في الزكوات ولسماع شكايات النَّاس في الأقطار البعيدة..."، كما كان من بين الفقهاء الذين نظمهم ضمن مجلسه العلمي وذلك بإيعاز من ابني الإمام، وهذا ما يثبت مهارته في القضاء بالعدل مما أكسبته سيرة حسنة عند الخاصة والعامة، وما يؤكد ذلك تقريبه من السلطان المريني وجعله من خاصته ومقربيه، وقاضي يحكم في الأوطان البعيدة عنه.

• **تاريخ وفاته:** ذكرت لنا المصادر تاريخ أنَّ وفاته سنة 749هـ/1348م الذي تزامن مع ظاهرة "داء الطاعون" في تونس، ولقد كان ضمن موكب تشييد جنازته السلطان أبي الحسن المريني ومجموعة كبيرة من الأعيان كما أنَّه دفن بمقبرة الزلاج بتونس) (أورد في: المقري، 1986).

2. **علي بن عبد النور:** حسب ابن خلدون (2007) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد النور وهو أخ محمد بن عبد النور، نشأ بتلمسان وفقا للتلمساني (1986) وأخذ العلم وتكون على علمائها، حتى عُدَّ من فقائها وعلمائها، لكنَّه كان زاهدا ورعا من أكابر العلماء بتلمسان.

• **رحلته العلمية ومهنته في القضاء:** أشار نصر الدين (2010) إلى أنه لقد تولى قضاء تلمسان مع أخيه محمد ثم مستقلاً بعد موته سنة 749هـ/1348م، وفي هذه السنة رجع الأمير أبو عنان المريني من تلمسان إلى فاس ليخلع طاعة أبيه ويستتفر معه مقربيه ومنهم علي ابن عبد النور حيث ولاه قضاء مكانسة وبقي في هذا المنصب إلى بداية عهد السلطان أبي زيان محمد سنة 763هـ/1362م، وعندما اضطربت الأوضاع وساءت الأحوال بعدما استبدَّ الوزير عمر بن عبد الله بسيطرته على مقاليد الحكم، فلم يبق له الرغبة في مواصلة ممارسة القضاء في هذا المنصب واستقال منه بعد 14 سنة من العمل، ومن جهة أخرى وحسب يحيى ابن خلدون من خلال قوله: "...وبكثير من حواضر المغرب فعدل وجالس الملوك..." مما يدل على أنه مارس القضاء في مدن كثيرة غير مكانسة وتلمسان.

• **وفاته:** ذكر ابن خلدون (2007) أنه حين اعتزل القضاء، خرج حاجاً سنة 764هـ/1363م بأهله وولده وهو في حالة مرضية، ولما دخل بيت الله الحرام وإفاه أجله في الطواف ودفن بمكة المكرمة.

3. محمد بن علي بن عبد النور: ذكر بن داود (2010) أنه هو ثالث علماء وفقهاء هذه الأسرة وهو محمد بن علي بن عبد النور الذي توفي بمكة، وقد ترك أبوه وصية عنه لأمر الحج يبلغها إلى أمير مصر بالإحسان إليه حسب تعبير ابن خلدون، ونال الوظيفة حتى عدّ من علماء المالكية، ممّا يدل على توليه وظائف الفقهاء مثل التدريس أو القضاء أو الإمامة، كما يذكر أنّه اشتغل بالكيمياء، ولأمر مجهول انتقل إلى بغداد ومنها نحو الشمال إلى ماردين، حيث استقر عند صاحبها إلى أن توفي هناك بعد سنة 790هـ/1388م.

➤ **خاتمة:** شهدت تلمسان في العهد الزياني عصرًا ذهبيًا في الحركة العلميّة والفكريّة بفضل دور علمائها وفقهائها الذين ساهموا في تكوين جيل من العلماء ونقل المعارف بين الحواضر والأقطار ببلاد المغرب والمشرق الإسلاميين وتواصلها بين الأجيال، وكمثال عن ذلك نجد علماء أسرة عبد النور هذه الأخيرة التي عرفت باسم الندرومي نسبة لمدينة ندرومة أين تعود أصول هذه الأسرة، حيث عرفت واشتهرت بهذا الاسم في الأوساط العلميّة والوظيفية مغربيًا ومشرقيًا، إذ ذاع صيت علماء هذا البيت بالاعتماد عليهم بشكل كبير في مهنة القضاء لدى سلاطين المغرب سواء بني زيان أو بني مرين وهذا ما تمّ استنتاجه من خلال ما قيل عنهم من طرف تلامذتهم.

إنّ علماء هذه الأسرة وردت سيرتها بصيغة مختصرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب، بل ورد ذكرها عرضيا ومجرد إشارات، ولهذا تبقى جوانب عدّة مجهولة من سيرتهم العلميّة، فلم تذكر المصادر التي بين أيدينا تاريخ ومكان ميلاد علمائها. كما أنّ تلاميذ القاضي أبوعبد الله محمد بن عبد النور كلاً من ابن مرزوق رغم أنّه أثنى عليه من خلال قوله أنّه من أفصح الناس لسانًا بالعربية وكان مشاركًا في علوم عدّة ولكنه لم يذكر له حلقات التدريس التي كان يشرف عليها ولا مصنّفات ألفها.

وبالإضافة إلى ما قاله يحيى ابن خلدون حيث ذكره من الفقهاء المدرسين وأهل الفتيا، أمّا في ممارسة القضاء تذكر المصادر التي بين أيدينا أنّه كلاً من الأخوين محمد وعلي ابني عبد النور مارسا القضاء في عدّة مدن من بلاد المغرب الإسلامي في عهد سيطرة السلطان المريني، ثم فيما بعد مارسها علي بن عبد النور في مكناسة، والسؤال المطروح هل مارسا القضاء قبل ذلك في تلمسان؟

وبحكم تعيين القضاة من حق السلطان وحده ولا ننسى أنّ خطة القضاء في المجال الإسلامي لها أهمية قصوى فكان القضاة حماة ومشرعين لكل الأحكام التي يقتضيها الحال أو يرغب فيها السلطان في الفترة الوسيطة. كما أنّ حياة الفقيه محمد بن علي بن عبد النور الذي اسقر بمصر وعدّ من علماء المالكية بها، ما يزال يسودها الغموض سواء بالنسبة للوظائف التي تقلدها وكذلك جهل أسباب انتقاله إلى ماردين واستقراره بها.

➤ قائمة المراجع:

1. الفاسي، ابن أبي زرع (1972). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة.
2. ابن الأحمر، اسماعيل (2001). تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية. (تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة)، مصر : مكتبة الثقافة الدينية.
3. ابن الخطيب، محمد لسان الدين (1956). كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة. مصر : دار المعارف.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن (2007). التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا. وزارة الثقافة، الجزائر.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن (1980). بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد. (تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات)، ج1، الجزائر : المكتبة الوطنية.
6. ابن خلدون، عبد الرحمن (2000). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لبنان : دار الفكر.
7. الإدريسي، أبو عبد الله (1993). نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. باريس.
8. بركات، أنيسة (1995). محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية. الجزائر : منشورات المتحف الوطني
9. البكري، بن محمد (1857)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. العراق : مكتبة المثنى ببغداد.
10. بلعربي، خالد (2005). الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية وحضارية 633هـ/689م-1235م/1282م). الجزائر : المكتبة الوطنية.
11. بلهاري، فاطمة (بدون سنة). سيرة القاضي أبي عبد الله بن عبد النور الندرومي. تلمسان، الجزائر : دار السبيل للنشر والتوزيع.
12. بن داود، نصر الدين (2010). بيوتات العلم بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
13. بورويبة، رشيد (1979). الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، (ترجمة إبراهيم شيوخ)، الجزائر : المكتبة الوطنية.
14. بوشقيف، محمد (2008). المؤسسات التعليمية في تلمسان خلال العهد الزياني. قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، 1، 105-115.
15. البوعبلي، المهدي (1975). أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذة مبهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها. مجلة الأصالة، 26، 124-135.
16. بوعزيز، يحي (1980). تلمسان عاصمة المغرب الأوسط. الجزائر : المكتبة الوطنية.
17. بوعزيز، يحي (2004). المساجد العتيقة في الغرب الجزائري. الجزائر : منشورات ANAP.
18. الصنهاجي، أبو بكر (1971)، الأنساب في معرفة الأصحاب. (تحقيق عبد الوهاب بن منصور)، الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة.
19. التلمساني، محمد ابن مريم (1986). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
20. التتكتي، أحمد بن أحمد (1932). نيل الإبتهاج بتطريز الديباج. مصر : دار المعارف.
21. التتسي، محمد بن عبد الله (2000). نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. الجزائر : المؤسسة الوطنية.
22. حاجيات، عبد الحميد (1997). الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي. مجلة الثقافة، 144، 19-26.
23. حساني، مختار (2007). تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان (الأحوال الاجتماعية). الجزائر : دار الحضارة للطباعة والنشر.
24. الخطيب، محمد أبو عبد الله (2007). المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن. ، وزارة الثقافة، الجزائر.
25. زرهوني، الطاهر (1987). ندرومة بين الماضي والحاضر. مجلة الثقافة، 99، الجزائر.
26. سعد الله، أبو قاسم (1981). تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
27. الطمار، محمد (2007). تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر. الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
28. العبدري، محمد (1986). الرحلة المغربية. الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
29. عبدلي، لخضر (2007). التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان. الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
30. فيلاللي، عبد العزيز (2002). تلمسان في العهد الزياني. الجزائر : موفم للنشر والتوزيع.
31. المراكشي، محمد ابن عذاري (1980). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1، بيروت، لبنان : دار الكتاب العربي،
32. المقرئ، أحمد بن محمد (1986). أزهار الرياض في أخبار عياض. المغرب : دار النشر التراث الإسلامي.
33. المقرئ، أحمد ابن محمد (2000). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. بيروت : دار الكتاب العربي.
34. المنوني، محمد (1989). حضارة الموحدين. الدار البيضاء، المغرب : دار توبقال للنشر.
35. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدنية ومصر وبلاد المغرب (1981). (نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد)، المغرب : دار النشر المغربية.
36. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اسحاق ابن واضح (2002). كتاب البلدان. لبنان : دار الكتب العلمية.
37. George, C. (1888). Monographie de Tlemcen. Bulletin de la société d'archéologie, Oran.